مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية "خير للإنسان أن يعدل عن التماس الحقيقة من أن يحاول ذلك من غير منهج" ديكارت "ليس من المنهج أن تخرج عن المنهج" علي جواد الطاهر

المدرس المساعد
باقر جاسم محمد
جامعة بابل - كلية الآداب

١. مقدمة

قد تكون بعض المصطلحات و المفاهيم المتداولة على نحو واسع، التي تبدو للوهلة الأولى واضحة و لا لبس فيها، على شيء من الغموض و الالتباس و بالتالي فهي الأحوج من غيرها إلى البحث و الدرس لإعادة تحديد منطلقاتها النظرية الأساسية و ملامحها الفكرية و أسسها الإجرائية و لبيان مواضع الالتباس فيها. و ربما يصل الأمر إلى إظهار الحاجة إلى صوغ تصنيف جديد لها استناداً إلى التراكم المعرفي المتحقق عبر التجربة الموضوعية في التعامل مع هذه المفاهيم و المصطلحات. و قد يكمن سبب ذلك الغموض و الالتباس في شيوع تلك المفاهيم و المصطلحات و عدّها من المسلمات التي لا حاجة للخوض فيها إلا عند الخروج على أسسها العامة على نحو غير مقبول أو غير مسوغ. و لعل مصطلح المنهج، و ما ينطوي عليه من مفهوم، من أهم هذه المصطلحات التي شاع استخدامها كثيراً لذلك غلب الظن على نفوس بعض الباحثين و القراء على أنها واضحة و جلية أو حتى بدهية. فهل حقاً أن صورة المنهج، كما تنعكس في كثير من البحوث المعاصرة، بهذا الوضوح؟ ثم، ألا يحتاج مفهوم المنهج إلى نوع من إعادة النظر لتقويم فاعليته الإجرائية؟ في الجواب على التساؤل الأول، نقرر بأننا لا نعتقد ذلك لأن ممارسة كثير من الباحثين للعمل المنهجي يكتنفها كثير من اللبس فضلاً عن الخروج على حدود المنهج دون أية مسوغات تفرضها طبيعة البحث. أما

بالنسبة للتساؤل الثاني، فإننا نفترض أن فحص طبيعة المشكلات التي تكتنف العمل العلمي المنهجي تظهر الحاجة إلى إعادة النظر في بعض الجوانب النظرية لمفهوم المنهج العلمي بغية إثرائها على نحو ينعكس على الجوانب الإجرائية من المنهج.

لنبدأ ببحث طبيعة المفهوم اللغوي لمصطلح المنهج، فنقول: أن الفعل 'نَهَجَ'، و قد يكون مكسور العين، يأتي بعدة معاني، منها 'نهج الرجل' أي انبهر و تتابعت أنفاسه، و 'نهج الثوب' أي بَلِيَ و لكن لم يتشقق، و 'نهج الرجلُ الأمر' أي أبانه و وَضَحَه، و 'نهج الطريق' أي سلكه، و قيل 'طَلَبَ النهجَ' أي طلب الطريق الواضح. و 'المَنْهَج'، و 'المِنْهَج'، و 'المِنْهاج'، الطريق الواضح.[1] و قد جاء في القرآن الكريم: "لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً و مِنهاجاً" (المائدة:٥/٤٨)، كما جاء لفظ النهج بمعنى الطريق في خطبة للإمام علي (رض) إذ قال: "اعملوا رَحِمكم الله على أعلام بيِّنة، فالطريق نَهْجٌ يدعو إلى دار السلام،..."، و ورد أيضاً مقترناً بمعنى الطريق في كلام له أيضاً إذ قال: "... إني و الله لعلى بيِّنةٍ من ربي، و منهاج من نبيي، و إني لعلى الطريق الواضح ...".[2]

و قد ورد لفظ النهج مقترناً بمعنى الطريق في شعر ابن الرومي إذ قال في رثاء أحد الأعيان:

أمَامَـك فـانظُرْ أيَّ نهْجَيْـكَ تَـنْهَجُ طَريقـانِ شتّـى: مُسْـتقيمٌ و أعْـوَجُ[3]

و لو عطفنا النظر إلى الكلمة المكافئة للفظة المنهج في بعض اللغات الأخرى، فسنجد أنها في اللغة الإنجليزية method، و في اللغة الفرنسية *méthode*، و في اللغة اللاتينية *methodus* المأخوذة من الإغريقية القديمة *methodos*. و تتألف في الأصل من مقطعين: الأول هو (meta)، و من معانيه 'في الأثر' أو 'على وفق'؛ و المقطع الثاني هو (hodos) و معناه طريق ما، و المعنى الكلي هو "في أثر الطريق". و هو معنى يكاد يتطابق مع معنى المنهج في العربية. أما المعنى الاصطلاحي أو المفهومي للمنهج فإنه يأخذ صوراً و تعريفات متعددة في الصوغ و لكنها تكاد تجمع على معنى واحد. فيعرفه معجم وبستر بأنه "طريقة أو أسلوب نستطيع من خلاله أن ننطلق لإحراز هدف ما، و هو أسلوب أو نسق للإجراءات، و للترتيب أو

الأسلوب المنطقي و العلمي للقيام بالعمل، و هو مجموعة الإجراءات النظامية أو المنظمة، و هو نظام يكون معناه في الطبيعة و التاريخ مبدأ للتصنيف ... و هو أيضاً ذلك الحقل العلمي الذي يبحث في مبادئ و تقنيات التحقق العلمي."(٤) و نلاحظ في هذا التعريف تداخل مفهوم المنهج العلمي بوصفه مجموعة من الإجراءات مع مفهوم علم المنهج، أو methodology، بوصفه العلم الذي يبحث في نظرية المنهج نفسها. أما الدكتور علي جواد الطاهر فيعرفه بالقول: "المنهج في أبسط تعريفاته و اشملها: طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة"،(٥) ثم يقدم تعريفاً لمنهج البحث الأدبي الذي هو "الطريقة التي يسير عليها دارس ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب أو قضاياه ..."(٦) و الحقيقة أن التعريفين يكادان يتطابقان، فالفرق بينهما يكمن في التعميم و التخصيص، فالأول يتحدث عن ماهية المنهج عموماً، و الثاني يحصر دلالته و يخصصها في نطاق الدرس الأدبي. أما الدكتور أحمد جاسم النجدي فيعرف مصطلح المنهج على أنه: "... مجموع الخطوات العلمية التي يسلكها الدارس للوصول إلى حقيقة معينة."(٧) و الباحث هنا يتكلم عن منهج البحث دون أن ينعته بالأدبي، و إذ نشير إلى أن النعت يعني التحديد و التخصيص، بمعنى أن تعريفه هذا كان لمطلق منهج البحث، و على العموم، فإننا نرى أن تعريفه لا يكاد يخرج عن تعريف الدكتور الطاهر في شيء. و لكن لا بد من القول أن الدكتور النجدي قد أورد في كتابه "منهج البحث الأدبي عند العرب" إشارة شديدة الإيجاز و لا تكاد تنبئ عن أهمية مضمونها، إلا و هي قوله:

> "و على الرغم من أن العرب القدامى عدوا علوم النحو الصرف من علوم الأدب، لم أكن لأستفيد من هذه الكتب شيئاً كثيراً في تبيان منهج البحث الأدبي، إذ أن هذه الكتب خضعت في دراستها لأساليب الفقه و المنطق مما أبعدها عن مجال البحث الأدبي، ثم أنها يمكن أن تخصص لها دراسة مستقلة بعنوان ((منهج البحث اللغوي عند العرب)). هذا و من المعروف أن في البحث عناصر مشتركة بين العلوم، فهي مع استقلال كل علم منه بمنهج معين تلتقي بأمور و خطوات علمية تنتظمها جميعاً."(٨) ﴿التوكيد للباحث﴾

فقوله أن في عبارة: "في البحث عناصر مشتركة بين العلوم، فهي مع استقلال كل علم منه بمنهج معين تلتقي بأمور و خطوات علمية تنتظمها جميعاً" إشارة مختصرة و غير وافية إلى حقيقة مهمة و أساسية هي أن للبحث العلمي مستويان، المستوى الأول عام تشترك فيه كل العلوم، و المستوى الثاني خاص يستقل به كل علم عن سواه. و هو المستوى الذي سنفصل فيه القول لاحقاً. و يتداخل تعريف مفهوم المنهج العلمي، أو طريقة التجربة العلمية، مع مفهوم البحث العلمي الذي هو وصف للتطبيق العملي لمقولات المنهج العلمي و هذه الطريقة اسم الطريقة العلمية أو طريقة البحث العلمي ...[٩] و نلاحظ أن هذا التعريف قد قصر مفهوم المنهج العلمي على التجربة العلمية و لم يفرق بين البحث العلمي من حيث هو وصف لتحقق فعلي للمنهج العلمي و مقولات المنهج العلمي و اشتراطاته. و نظراً لكون أغلب الباحثين يؤكدون على أهمية العنصر البشري في البحث العلمي الذي يمثل "... القلب المحرك لمختلف مراحل البحث العلمي و في شتى حقول المعرفة."[١٠] لا بد لأي تعريف للبحث العلمي أن يتضمن إشارة لدور هذا العنصر. و بالإشارة إلى ما سبق من تعريفات، و أخذاً بأهمية العنصر البشري في التطبيق الإجرائي للمنهج العلمي، فإننا نعرف البحث العلمي بالآتي: البحث العلمي هو التطبيق الفعال لمقولات المنهج العلمي و اشتراطاته من خلال استثمار التفاعل الخلاق بين المعارف العلمية الموضوعية المقررة جهة، و القدرات الذاتية على الفهم و التحليل و الاستبصار من جهة أخرى، للتحقق من فرضية فكرية معينة أو حل مشكلة تطبيقية محددة.

و من الناحية التاريخية، كان التفكير العلمي و المنهجي قد مرّ بنوع من الإحساس العقلي البدهي بأهمية أن يكون هناك في كل قول أو عمل فكري قواعد عامة تجعل من الآخرين يستسيغونه عقلاً. و على وفق ما يتيسر لدينا من قرائن و أدلة، فقد ارتبطت نشأة الصورة الأولى للمنهج بالفكر الفلسفي اليوناني عموماً، و بالفلاسفة سقراط و أفلاطون و أرسطو خصوصاً، فكانت الإشارة إلى منهجية التفكير ترد ضمناً في مناظراتهم الفكرية. هذا فضلاً عن أنه التفكير المنهجي كان حاضراً بوصفه شرطاً ضمنياً في علم المنطق الصوري عند أرسطو.

و من المهم أن نشير إلى أن إسهام الحضارة العربية الإسلامية في إرساء الفكر العلمي على أسس منهجية إذ تشير المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه إلى أن حقيقة أن العرب قدموا للغرب "أثمن هدية و هي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة و تسلطه عليها، ..."[١١] و قد كان واضحاً أن العرب و المسلمين قد بحثوا في شروط المنهج العلمي بصورة أولية في مقدمات كتبهم و في ما وجهوا من توصيات لطلابهم. و تشير باحثة عربية إلى أن منهج البحث العلمي العربي الإسلامي يستمد أصوله من الشريعة الإسلامية. و تحصر الباحثة خصائص هذا المنهج في مبدأين علميين هما: قانون العلّية (= السببية) و قانون الاضطراد في وقوع الحوادث.[١٢] و تورد الباحثة رأياً مفاده إن الثبات من خصائص المنهج الإسلامي، و ذلك بعكس جميع المناهج الوضعية و القوانين التي يعوزها الثبات. و هي تعزو ذلك الثبات إلى ثبات الحقائق التي يعبر عنها الدين الإسلامي الحنيف. و هذا الرأي يجعل من ثبات المنهج حقيقة خارج حقل العلم لأنه يستند إلى قناعة عقدية تخص المسلمين دون أن تكون ملزمة لسواهم. و بفقدان خصيصة النسبية و التغير، يفقد منهج البحث العلمي الإسلامي أحد أهم شروط المنهج العلمي ألا وهو شرط الكلية و العموم بصرف النظر عن العقيدة. و لكن ذلك ليس هو رأي علماء المسلمين. فقد أسهم عالم البصريات العربي المسلم الحسن بن الهيثم (965–1039 م)، و أسمه اللاتينية (Alhazen) في تطور علم المنهج حين كان يؤكد على أهمية البحث عن الحقيقة لذاتها فيقول "إن البحث عن الحقيقة يكون من أجل الحقيقة ذاتها. و الذين ينشغلون في البحث في أي شيء لذاته لا يهتمون بالأمور الأخرى. فالعثور على الحقيقة صعب و الطريق إليها وعر."[١٣] و من الواضح أن هذا الرأي لابن الهيثم قد مثل سبقاً علمياً مهماً في سياق إرساء المنهج العلمي على أسس موضوعية لا تتأثر بالمعتقد الشخصي أو المنافع الوقتية. و قد أضاف الجاحظ بعداً موضوعياً آخر لمنهج البحث العلمي حين اشترط على من يتصدى لمناقشة آراء باحثين آخرين يناقضون رأيه الشخصي أن يعرض حجج الخصوم بالقدر نفسه من الوضوح و الدقة الذي يعرض فيه الباحث لحججه هو، فيقرر بالنص: "... و اعلم أن واضع الكتاب لا يكون بين الخصوم عدلاً و لأهل النظر مألفا حتى يبلغ من شدة

الاستقصاء لخصمه مثلا الذي يبلغه لنفسه..."[١٤] و هذا مبدأ أساسي من مبادئ المنهج ينطوي على بعدين أحدهما علمي موضوعي و الثاني أخلاقي. و على أهمية مثل هذه الآراء في توجيه منهج البحث العلمي في زمانها، إلا أننا نلاحظ أنها بقيت متناثرة في المقدمات و التوجيهات لطلابهم، أما ما وصلنا من مؤلفات العرب و المسلمين فإنه لا يتضمن تصانيف مكرسة لمنهج البحث العلمي في النظرية و التطبيق.

و في أوروبا، شهد البحث العلمي نقلة مهمة على يد ديكارت إذ جاء الوقت الذي يجري فيه النص على أن من طبيعة آداب البحث، أو من شروطه أنه "صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان كيفية المناظرة و شرائطها صيانة له عن الخبط في البحث و إلزاماً للخصم و إفحامه."[١٥] و هذا رأي نظري في شروط البحث يتسم بالعمومية. لكن التفكير العلمي الدقيق و المنهجي في المنهج، و في مشكلات المنهج تحديداً، قد تأخر كثيراً حتى القرن الثالث عشر، و كان أسهام الفيلسوف روجر بيكون (١٢٢٠-١٢٩٢) في التوكيد على أهمية الرياضيات و النزعة التجريبية في دراسة العلوم مهماً في هذا المجال. و كان من أثر عمل بيكون أن شاع استخدام مصطلح العلوم التجريبية في الغرب تأثراً بكتاباته و ذلك قبل ظهور العلم الحديث بحوالي ثلاثمائة عام. و كان هناك إسهام مهم للفيلسوف رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) الذي أصدر أول عمل فلسفي له في العام ١٦٣٧، و كان تحت عنوان 'مقالات فلسفية'. و قد تضمن أربعة مقالات: الأولى في الهندسة و الثانية في البصريات و الثالثة في النيازك و الشهب، و الرابعة "مقالة في المنهج". و قد احتفظت الأخيرة بأهميتها بعد أن فقدت المقالات الثلاثة أهميتها حين تقدم العلم في الحقول التي ركزت عليها. و لعل أهمية المقالة الرابعة ترجع إلى أنها كانت تبحث في أصول التفكير العلمي و آلياته، و هي مسألة نظرية مهمة في كل عصر و أوان.[١٦] و قد تضمنت هذه المقالة مبدأ الشك العقلي المفضي إلى تحقيق اليقين العلمي، و هو مبدأ علمي مهم، كما تضمنت المقالة الرابعة أربع قواعد، هي:

١. الأولى: قاعدة البينة أو الدليل، في الفرنسية (évidence)[١٧] وفي الإنجليزية (evidence)، و تعني أن الباحث ينبغي أن يعتمد على الإدراك المباشر لموضوع

الدرس العلمي، و أن لا يدخل في أحكامه إلا ما يتمثل لعقله بوضوح و تميز، و لا يكون لديه مع توفر عنصري الوضوح و التميز أي مجال لوضعه موضع الشك.

٢. الثانية: قاعدة التحليل، في الفرنسية (analyse)، و الإنجليزية (analysis)، و تقوم على مبدأ تقسيم كل واحدة من المعضلات التي يتصدى البحث لدراستها إلى عدد من الأجزاء الثانوية، و يمكن لمثل هذا التقسيم أن يسهم في حل المعضلة الأساسية على أحسن صورة.

٣. الثالثة: قاعدة التركيب، في الفرنسية (synthése) ، و الإنجليزية (synthesis)، و تعني أن يرتب الباحث أفكاره، فيبدأ بأبسط الأمور و أيسرها معرفة، و يتدرج في الصعود شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى معرفة أكثر الأمور تركيباً و تعقيداً .

٤. الرابعة: قاعدة الاستقراء و الإحصاء الحسابي، في الفرنسية (ènumèration)، و الإنجليزية (enumeration)، و هي توجب على الباحث أن يقوم، في كل الأحوال، بإحصاءات كاملة و مراجعات عامة مستندة إلى المعطيات التي يمكن تمثيلها رقمياً أو ضمن أشكال إحصائية معبرة.(١٨)

و قاعدة الاستقراء و الإحصاء الحسابي الأخيرة وسيلة مهمة تجعل الباحث على ثقة من أنه لم يغفل شيئاً ذا صلة بموضوع دراسته لأن الرياضيات تمنح مادة الدرس سمة علمية و موضوعية أكبر. و كان يظن أن هذه القاعدة تنطبق فقط على العلوم الصرفة و التجريبية، و لكننا نشهد اليوم أنها تطبق على نحو واسع في الدراسات الأدبية و الفكرية. ثم جاء دور الفيلسوف فرنسيس بيكون في العام (١٥٦١-١٦٢٦) ليدفع بمفهوم المنهج العلمي خطوات مهمة إلى الأمام حين أكد في كتابه الأورگانون الجديد على ضرورة محاربة الأوثان الأربعة التي تكتنف كثيراً من العمل الفكري و العلمي. و هذه الأوثان هي: وثن الميل نحو التبسيط، و وثن الميل نحو التأثر بأحداث قد لا تمثل الواقعة المدروسة تمثيلاً حقيقياً ، و وثن غرابة السلوك العلمي لبعض الباحثين إذ قد يفضل البعض منهم أن يتوقف كثيراً عند التفاصيل بينما يميل آخرون إلى الكلام عما هو مجمل، و وثن اللغة التي قد لا تكون دقيقة في التعبير عن الفكرة العلمية.(١٩) و بالنسبة للوثن الأخير، أعني وثن اللغة، يقدم لنا جون لوك

(١٦٣٢-١٧٠٤) حلاً مقترحاً من خمس نقاط لمعالجة آفة الاختلال اللساني للخطاب العلمي على النحو الآتي:

١. لا تستعمل كلمة دون أن تعرف أية فكرة ستجعل من تلك الكلمة رمزاً لها.
٢. تثبت من أن أفكارك واضحة، و متميزة عن بعضها بعضاً و حاسمة؛ و إذا كانت أفكاراً حول الجواهر، فينبغي أن تكون قابلة للمطابقة مع الأشياء الواقعية.
٣. حيثما أمكن، اتبع الاستعمال الشائع، و بخاصة استعمال هؤلاء الكتاب الذين يبدو خطابهم متضمناً أوضح الأفكار.
٤. حيثما أمكن، صرّح بمعاني كلماتك(و بخاصة قُم بتعريفها).
لا تقدم على تغيير المعاني التي تعطيها للكلمات.[٢٠]

و قد أعقب ذلك أن صار الالتزام بضوابط المنهج العلمي العام أمراً مقرراً في كل بحث علمي سواء أكان ذلك البحث في العلوم الصرفة أم في الإنسانيات.

وعلى أية حال، فإن نظرية وحدة المنهج العلمي و ضرورة تطبيقه في شتى العلوم لم تسلم ممن يناقضها بالقول بتعددية المناهج و عدم التسليم بالمنهج الواحد. فتعددية المناهج وجدت من يدافع عنها إذ لم يتورع تيري إيجلتون، و هو باحث معاصر منغمس في الأيديولوجيا، عن التصريح "أن التعددية ينبغي أن تسود على مستوى المنهج، لأن ما يتغلب على الانتقائية هو تماسك الغاية السياسية لا تماسك المنهج."[٢١] و يكاد هذا الموقف يمثل انقلاباً شاملاً على الفكر المنهجي الذي نفترض أنه يسعى حثيثاً نحو إضفاء السمة الموضوعية على الدرس العلمي في أيما حقل معرفي! فإذا كان (تماسك الغاية السياسية) هو الأساس في تحديد الخيارات المنهجية و التغلب على الذاتية في الدرس و التحليل فإن ذلك يعني في المحصلة النهائية أن تتحكم الأيديولوجيات المختلفة التي تستند إليها الغايات السياسية في عمل الباحثين. و بما أن الأيديولوجيا خيار ذاتي في جوهره فإن ذلك يعني انتفاء السمة الموضوعية للبحث. لكن الباحث لا يقدم من الأدلة ما يدعم رأيه هذا حتى يكون حافزاً للباحثين الآخرين في اعتماد التعددية في المناهج. و الحقيقة أننا نرى أن أبرز وظائف المنهج تتمثل بالآتي:

(أ) تقليل الجانب الذاتي في البحث العلمي مع تعظيم الجانب الموضوعي.

(ب) تدعيم القيمة الأبستمولوجية في البحث العلمي و رفعه إلى مصاف يقترب من الحقيقة.

(ت) تحري الصلة الوثيقة بين شتى الممارسات البحثية في مختلف حقول العلم و المعرفة من جهة و فلسفة العلم من جهة أخرى.

و من الواضح أن هذه الوظائف تتناقض مع القول بجعل الغاية السياسية، و ضمناً الأيديولوجية، أساساً لوحدة المنهج لأنها تجعل من المنهج تابعاً للأيديولوجياً فتنتفي عنه صفة 'العلمي'.

و على أية حال فإن هذا الرأي يقودنا إلى مناقشة صور المنهج أو التكييفات التي تلحق به حتى يتواءم مع شتى العلوم و الحقول المعرفية، تبعاً لطبيعة الحقل العلمي. فالبحث في التاريخ يختلف عن البحث في الفيزياء أو الجيولوجيا، كما يختلف البحث في الأدب عن البحث في الطب أو الهندسة المدنية. و لكن هذه الاختلافات ليست موجودة في أساسيات المنهج العلمي المعتمد في البحث العلمي بقدر ما هي موجودة في موضوع البحث العلمي. و عموماً، يمكن أن يصنف مفهوم المنهج العلمي في نوعين أساسيين: أولاً، منهج البحث العلمي العام أو أساسيات المنهج العلمي المعتمد في البحث العلمي بقدر ما هي موجودة في موضوع البحث العلمي. و عموماً، يمكن أن يصنف مفهوم المنهج العلمي في نوعين أساسيين: أولاً، منهج البحث العلمي العام أو الأساسي، وثانياً، المناهج الفرعية المتخصصة. و النوع الأول يوصف بالعام لأنه يستند إلى ضرورة أن يتضمن كل بحث في أي حقل من حقول المعرفة أسساً للتفكير العلمي و المنطقي تحكم عملية عرض المشكلة العلمية موضوع البحث، سواء أكان التعبير عن هذه الأسس صريحاً أم ضمنياً؛ و كذلك عرض أهم الأدبيات أو الأبحاث السابقة التي تناولت المشكلة عرضاً تاريخياً نقدياً، و من ثم الأسس المعتمدة في تحديد مكونات مشكلة البحث و دراستها و تحليلها، و الخطوات المؤدية إلى بناء الاستنتاجات المستخلصة منها، فضلاً عن أصول التوثيق للمصادر العلمية في شتى صورها من كتب و موسوعات و معاجم و دوريات و غيرها من المواد التي تمثل ما ينشر في

الصحافة المرئية و المسموعة، و من شروط الأمانة العلمية أن يرد الباحث الآراء إلى قائليها بشكل واضح و لا لبس فيه، كما أن من الضروري التفريق بين الرأي الذاتي و الرأي الذي يكون نتيجة منطقية لعملية البحث نفسها. و المنهج بهذا الوصف هو ما أشار إليه الفلاسفة الإنجليز السابقون، و قد جرى تطبيق أسس هذا المنهج و تطويرها، أولاً، في مجالات البحث في العلوم الصرفة، مثل الفيزياء و الكيمياء، و العلوم التطبيقية مثل الهندسة و الطب و الأحياء، ثم انتقل لاحقاً إلى العلوم الإنسانية مثل التاريخ و علم الاجتماع حتى وصل إلى حقل الدراسات اللسانية و الأدبية. و السمات أو الخصائص المذكورة أعلاه تمثل الجوانب الشكلية و الفنية و الإجرائية من المنهج العلمي، و الحقيقة أن بعض هذه الجوانب الشكلية ينطوي ضمناً على قيم أخلاقية مرتبطة بالأمانة العلمية مثل ضرورة رد الآراء إلى أصحابها. و من شروط المنهج الإحاطة بالموضوع أو في الأقل الإحاطة بأكثر الآراء أهمية التي قيلت فيه، و هو في الحقيقة ليس شرطاً كمياً بقدر ما هو شرط نوعي لأن سعة الإطلاع الباحث على موضوع بحثه و إدامة التفكير فيه تحدث أثراً نوعياً في تفكير الباحث مما ينعكس على نوعية البحث نفسه. و حتى يرتقي المنهج إلى مرتبة معيارية يعتد بها الجميع؛ أعني مرتبة تكون فيصلاً في ما يختلف فيه الباحثون، لا بد من توفر الجانب المعرفي للمنهج الذي يتمثل في أن المعطيات المتحصلة من تطبيق المنهج لا بد أن تكون متوافقة تماماً مع الأسس الفكرية للمنهج، و أن لا يتضمن التنظير أو التطبيق على أي تناقض من أي نوع كان، و هو مما يعد من أخطر العيوب التي يمكن أن تلحق بالبحث العلمي و تنقض سمته المنهجية، و أن لا ينزلق الباحث إلى الإفراط في التعميم انطلاقاً من حقائق عيانية جزئية.

إذن، فإن المنهج العلمي، على وفق هذا الوصف، عام و شامل في كل العلوم و إن اختلف جزئياً في هذا الحقل أو ذاك، و هو المقصود بمصطلح آخر هو المنهج الأكاديمي، لأنه بصفته هذه معتمد في الجامعات و المراكز البحثية الأكاديمية. على أن ذلك كان لا يعني أن المنهج العلمي يقتصر على الجامعات فقط و إنما يمكن أن يكون معتمداً و حاضراً في أي دراسة أو بحث ينشره باحث ما في هذا الحقل المعرفي أو ذاك، سواء أكان هذا الباحث منتسباً لمؤسسة أكاديمية أم لا. و سنقصر مصطلح 'المنهج' على هذا النوع من البحث

العلمي، و هو ما يقابل المصطلح 'method' بالإنجليزية. و يمكن لمصطلح 'المنهجية'، أو 'methodology' أن يكون اشتقاقاً مناسباً للعلم الذي يبحث في شروط المنهج، و نظريته العامة، و إجراءاته، و طرائق التحقق من صدق نتائجه. أما النوع الثاني من البحث العلمي، و هو مما يتألف من صور بحثية فرعية للمنهج العلمي فإنها لا تتناقض مع المبادئ الأساسية للمنهج، و لكنها تضيف تفريعات تخصصية إليه. ففي علمي الاجتماع و الاقتصاد، على سبيل المثال، يعتمد البحث العلمي الموصوف بالأمبريقي، أو empirical .

و لكن هذا النمط من البحث بشروطه المعروفة غير ممكن في علم الكيمياء لأن ما هو ممكن في هذا العلم هو البحث التجريبي، أو experimental. أما البحث الاستعادي فإنه ممكن و له فوائده في التاريخ و في الآثار حين يسعى الباحث إلى محاولة استعادة صورة الماضي من خلال معطيات محدودة، و لكن هذه الصورة من المنهج غير مقبولة في علمي الفيزياء أو الرياضيات. و على العموم فإن صور المنهج أو تكييفاته المختلفة تمثل استجابة علمية منهجية لما يقترحه الحقل العلمي أو المعرفي. و لكن هناك صوراً من البحث العلمي تفيض على الوصف السابق للمنهج العلمي. و يمكن حصر هذه الصور بما يمكن أن نطلق عليه مصطلح 'المدخل المعرفي'، و هو ما يقابل بالإنجليزية مصطلح 'approach' ليكون دالاً عليها و مميزاً لها. و نجد أن هذا المستوى الثاني الذي أطلقنا عليه مصطلح 'المدخل المعرفي' يختلف اختلافاً كبيراً عن 'المنهج العلمي' في أنه يمثل نوعاً من الخيار الشخصي الذي يفصح بالضرورة عن درجة من درجات الانحياز الأيديولوجي، و أيضاً عن نوع من النزعة الشخصية أو الذاتية بينما يكون هدف المنهج العلمي تحقيق أكبر قدر من الموضوعية و الابتعاد عن أية انحيازات أيديولوجية أو نزعات ذاتية. لذلك نقول أن من حق الباحث (أ) أن يتخذ من المدخل الاجتماعي وسيلة له لدراسة الأدب، و هو بذلك يعبر عن رؤيا فكرية و أيديولوجية معينة؛ و من حق الباحث (ب) أن يتخذ من المدخل الجمالي وسيلة له لدراسة الأدب، و هو بذلك يعبر عن رؤيا أخرى مغايرة عن رؤيا الباحث (أ)، و من حق الباحث

(ج) أن يتخذ المدخل اللغوي وسليته لدراسة الأدب ليعبر عن فهمه الشخصي للأدب و وظائفه، و لكن في كل الأحوال، يقتضي الأمر أن يتبع الباحثون الثلاثة المنهج العلمي و شروطه المعروفة في بحوثهم.

و يلزم هنا أن ننتقل إلى البحث في المدلول اللغوي لمصطلح المدخل. فقد ورد مصطلح (المدخل) في القرآن الكريم أربعَ مراتٍ في أربعة مواضع من أربع سور، و على النحو الآتي:

١. في الآية ٣١ من سورة النساء: (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا).

٢. في الآية ٥٧ من سورة التوبة: (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ).

٣. في الآية ٨٠ من سورة الإسراء: (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا).

٤. و ورد في الآية ٥٩ من سورة الحج: (لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ).

و من الواضح أن معنى مصطلح المدخل في سورة النساء قد انصرفت إلى حسن الثواب على الرشد و العمل الصالح، أما في سورة التوبة فقد انصرف المعنى إلى مكان الدخول، و في سورة الإسراء انصرف المعنى إلى الرشد و الهداية، أما في سورة الحج، فقد انصرف مرة أخرى إلى حسن الثواب و الرشد و العمل الصالح. و هذا يظهر اقتران مصطلح (مُدخل) بمعاني تشير إلى خيار أخلاقي أو الاتجاه سلوكي بمضامين دينية و أخلاقية في الغالب. أما في العربية، فإن ابن منظور يعرف المدخل بالقول:

"المَدْخل: بالفتح: الدخول و موضع الدخول أيضاً، تقول دخلت مَدخلاً حسناً و دخلت مَدْخلَ صِدْق . و المُدخَل، بضم الميم، الإدخال و المفعول من أجله ....، و يقال فلانٌ حَسَنُ المَدخل و المَخرَج أي حَسَنُ الطريقة و محمودها، و كذلك هو حَسَنُ المذهب."(٢٢)

و يظهر تحليل المعنى اللغوى أن لفظ 'المَدْخل' يعني الجهوية أو الانتحاء لأن موضع الدخول إنما يكون من جهة أو ناحية بعينها، فضلاً عن أنه يرتبط بمعنيين هما الصدق و حسن المذهب أو الاعتقاد. و هذه المعاني كلها يمكن أن تؤول على أنها تدل على الانحياز الديني أو الأيديولوجي مما يجعل من المعنى الاصطلاحي للمدخل المعرفي دقيقاً و موافقاً لمعناه اللغوي من جهة و منجزاً لوظيفة تكاملية مع المنهج العلمي لأن من الموضوعية في العلم أن يكون هناك حساب لذات الباحث في بعض المعارف و الدراسات الإنسانية. و

بهذا يزول ذلك التضارب الظاهري بين النزعة الموضوعية للمنهج العلمي و النزعة الذاتية للمدخل المعرفي، و بتكامل المنهج العلمي و المدخل المعرفي يحقق الباحث درجة أعمق و أكثر دقة من درجات الاستبصار العلمي و المعرفي في شتى العلوم و الآداب.

و يلزم أيضاً أن نشير إلى أن وحدة المدخل المعرفي أمر مرغوب في العمل النقدي و إن كان نادر الوجود، لذلك نلاحظ أن الباحث و الناقد قد يمزج بين مدخلين أو أكثر، و قد يخرج من حاضنة فكرية للمدخل المعرفي الذي اعتمده بداية ليدخل في حاضنة مدخل معرفي آخر قد لا تتفق بالضرورة مع مدخله الأول. و تلك هي بعض وجوه مشكلة المنهج العلمي الذي يضبط آليات اشتغال المداخل في المستوى التطبيقي. و يبدو أن عدم التفريق بين المفهومين المشار إليهما بمصطلحي المنهج و المدخل هو أحد موارد المشكلات العلمية التي نجدها في كثير من الدراسات الإنسانية العلمية الأكاديمية، كما أن استعمال مصطلح 'المنهج' للدلالة على المدخل المعرفي يوقع الباحث في مشكلة الزعم أن "منهجاً" ما، و هو في العادة يستعمل كلمة "منهج" مرادفاً لكلمة "مدخل"، مثل المنهج (المدخل) الشكلي أو المنهج (المدخل) الاجتماعي، يمكن أن يغطي كل القضايا الأساسية التي يثيرها النص الأدبي على وفق الأسس الفكرية التي يتميز بها المدخل المعين و يعتمدها الباحث، و هو أمر فيه نظر لأن بعض الباحثين يرون أن المداخل يمكن أن تتظافر لتنتج رؤيا شاملة للنص الأدبي فيما يعرف بالمنهج أو المذهب التكاملي حتى أن ناقداً معروفاً مثل ستانلي هايمن يتساءل في خاتمة الفصل الأخير من الجزء الثاني من كتابه (النقد الأدبي و مدارسه الحديثة) قائلاً "هل يمكن إيجاد مذهب نقدي متكامل؟"[٢٣]. و نلاحظ أن المؤلف قد عدل عن استعمال مصطلح

المنهج و استعاض عنه بمصطلح المذهب الذي يكاد يتطابق مع مصطلح ' المدخل' كما أوضحناه. و بعد أن يتحدث عن ضرورة انتقاء الناقد المثالي المفترض للصفات الإيجابية عند عدد كبير من النقاد، يقترح عليه أن يطّرح عن نفسه: "كل تافه محدود غير ملائم من أعمال أولئك النقاد" و هو ما يفضي إلى الإقرار بوجود الجوانب الذاتية في عمل الناقد الحقيقي أياً كان. و نلاحظ أيضاً أن مصطلح المنهج قد يختلط عند بعض الباحثين و المترجمين مع مصطلح المدخل. ففي ترجمته لكتاب (Approaches to Critical (literature) لديڤد ديتشس،[٢٤] يترجم مصطلح approaches إلى مناهج، و قد وافقه مراجع الترجمة الدكتور إحسان عباس ضمناً لأنه لم يشر إلى اختلافه مع المترجم في هذا الصنيع.

و بناء على ما سبق، فإن البحث يفرض علينا أن نعيد النظر في طريقة تصنيف المفاهيم الأساسية المشار إليها في أعلاه و تقديم تصنيف جديد للمنهجية أو علم المنهج و تفريعاته. و يعتمد هذا التصنيف أو taxonomy بوصفه حاجة ملحة تفرضها ضرورة التفريق بين المصطلحات التي تعبر عن شتى مستويات البحث المنهجي في المجالات العلمية المختلفة. و لو بدأنا هذا التصنيف من الأعلى إلى الأدنى، فسيكون لدينا علم المنهج، أو ما يطلق عليه المنهجية، methodology، و هو الحقل النظري العام الذي يبحث في الأسس الفكرية و الفلسفية للبحث العلمي. و علم منهج يقع في صميم فلسفة العلم. و يتفرع عنه المنهج العلمي الأساسي بما يتضمنه من مقولات و حدود و اشتراطات، و يتفرع عن المنهج العلمي الأساسي أنماط ثانوية تكرس للبحث المبني على اختيار إجراء واحد من المنهج العلمي لدراسة الظاهرة المطلوبة. فمثلاً، في دراسة ظاهرة الاحتباس الحراري، يمكن أن يختار الباحث دراسة الظاهرة إحصائياً أو وصفياً، و في حقل علم الوراثة يمكن للباحث أن يتخذ من المنهج التجريبي منطلقاً للدراسة فضلاً عن الدراسة اللاإحصائية.

إن تنوع الحقول العلمية و المعرفية قد فرض على الباحثين نوعاً من التكييف للمنهج العلمي كما رأينا. و يتحدث بعض عن مشكلات البحث العلمي بالقول: "لقد تحقق لمعظم أفرع العلوم الرياضية و الطبيعية، فرصة الانتقال من استعمال التعابير الوصفية إلى تعابير

كمية، خاصة في علوم كالرياضة، و الفيزياء و الكيمياء، إلا أن الأمر لم يكن كذلك في علوم الحياة عموماً (كالنبات و الحياة)، و هي علوم بالمعاني الكيفية، و لم تصاغ (كذا) بعدُ في صور رياضية، و يكتفى فيها حالياً بدرجة عالية من الصدق"[٢٥] فإذا كانت علوم تجريبية مثل علوم الحياة لا تستجيب لضرورات الوصف الكمي او الرياضي، و هو مما يقلل من النزعة الموضوعية فيها، فإن الأمر مع الحقول المعرفية التي تدرس التاريخ و الإبداع الأدبي و الفني سيكون أكثر وضوحاً. و هو ما يفرض علينا البحث في مفهوم المدخل المعرفي، أو approach epstemological، الذي يتفرع عن علم المنهج أيضاً، و لكنه في الوقت نفسه يستفيد من مقولات منهج البحث العلمي الأساسي و أنماطه الثانوية و اشتراطاتهما. إذن، يختص المدخل المعرفي بدراسة بعض الحقول المعرفية الإنسانية مثل الشعر و السرد و الفن و الموسيقى و الرسم و المسرح ... إلخ. و تظهر الحاجة إلى المدخل المعرفي في دراسة هذه الحقول الإبداعية لأن هذه الحقول ذات طبيعة خاصة تسمح بدور أكبر للعوامل الذاتية فهي تتعلق بقدر عظيم من الأثر الجمالي الذي هو فعل تلق في وجوهره. و لا يعني هذا أنها لا تستجيب للمقولات و الاشتراطات. و تظهر الخطاطة في أدناه بنية هذا التصنيف المقترح:

خطاطة التصنيف المقترح لعلم المنهج

S.M.R. = scientific method of research

وعموماً، فإننا نفترض وضوح الرؤيا الفكرية المنهجية العامة عند الباحث من جهة، و وعيه للحدود الدقيقة الفاصلة بين المصطلحات و إدراكه لآليات المدخل المعرفي نفسه، و ما

يمكن أن تسمح به دون الغض من حدود و أساسيات المنهج العلمي من جهة أخرى. و هما أمران قد يثبت الفحص العلمي الدقيق لنصه البحثي أنهما غائبان أو مرتبكان كلاً أو جزءا ً. إذن، لا ينبغي أن تقع المداخل المعرفية على اختلاف أنواعها (جمالي، نفسي، اجتماعي، تاريخي، تأويلي، ... إلخ)، في تناقض مع المنهج العلمي العام الذي يمثل القاعدة الأساسية الشاملة للمعرفة العلمية. و من هنا فإن الكثير منها يكون مداخل متخصصة في دراسة حقول معرفية بعينها دون الأخرى. ففي دراسة السرد يمكن أن نتحدث عن المدخل البنيوي و المدخل النفسي و المدخل التاريخي و المدخل الاجتماعي و المدخل الشكلي أو الشكلاني و المدخل اللغوي؛ و في دراسة التاريخ يمكن أن نتحدث عن مدخل التدوين التاريخي و مدخل الرواية و العنعنة، و المدخل الفلسفي؛ و في اللسانيات يمكن أن نشير إلى المدخل البنيوي عند دي سوسور و المدخل البنيوي عند بلومفيلد (و لنلاحظ هنا وجود صورتين للمدخل البنيوي في اللسانيات، أوروبية و أمريكية، و هما صورتان مختلفتان في بعض التفاصيل)، و المدخل الوصفي التزامني في مقابل المدخل التاريخي التعاقبي، و المدخل التوليدي، و المدخل النفسي، و المدخل الاجتماعي في دراسة اللغة. و إذ يظهر هذا العرض الموجز تعدد صور المداخل الفرعية و اختلافها فإنه في الوقت نفسه يجعلنا على ثقة بأن ما يسمى بالمنهج (أو المدخل) الانطباعي في نقد الأدب لا يكاد يستجيب لشروط المنهج أو المدخل، و لذا يمكن لنا أن نخرجه من خانة الكتابة المنهجية و نضعه في خانة الكتابة الحرة. و نشير هنا إلى أنه لا يمكننا مطلقاً أن نتحدث عن المدخل النفسي في علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) أو الفيزياء أو النبات. و قل مثل ذلك بصدد المدخلين الاجتماعي أو الجمالي. و نجد أن هذا التصنيف الجديد الذي يعتمد التفريق بين المنهج و المدخل مهم في إضاءة تعدد مستويات مفهوم المنهج من جهة، و في إظهار أهمية الوضوح في الكلام في المنهج و مشكلاته من جهة أخرى. و كما سبق القول فإن أكبر مزية للمنهج العلمي أنه يبعد المعرفة عن مواضع الشطط الذاتي و يقيمها على أسس أكثر موضوعية. و هذه المزية مهمة في كل حقول المعرفة، و لكنها تكون أعظم قيمة في حقل الدراسات الإنسانية لأنها تحصن هذه الدراسات ضد الانغماس في النزعة الذاتية، و هو ما اتهمت به دائماً.

و في كل الأحوال فإن المنهج العلمي، و المداخل في شتى صورها، ليست سوى أدوات بيد الباحث الرصين، و هي أدوات تشبه إلى حد بعيد أدوات الجراحة لدى الطبيب الجراح الماهر الذي يمكن أن يستخدمها بكفاءة و مهارة في إنجاز عملية جراحية صعبة و معقدة فينقذ المريض من موت محقق، و قد يسيء جراح آخر تنقصه الخبرة و المهارة استعمال الأدوات نفسها فيقتل المريض. لذلك يمكن القول أن المنهج العلمي، على أهميته التي لا يجادل فيها أحد، لا يمثل هدفاً بحد ذاته بقدر ما أنه يعطي لأهدافنا العلمية المرتجاة و لمزاعمنا و ما نتوصل إليه قيمة موضوعية أكبر. و أعني بذلك أن الموقف من الدراسات و الأبحاث و حتى المقالات لا ينبغي أن يبنى فقط على أساس التركيز على حضور الجوانب الشكلية و الإجرائية للمنهج العلمي فيها، مثل إجراءات التوثيق العلمي documentation، و التفريق بين مصادر البحث references التي رجع إليها الباحث و المراجع العامة في الموضوع bibliography، و إنما ينبغي أن ينصرف إلى فحص الكيفية التي استثمر فيها الباحث المنهج للوصول إلى النتائج التي توصل إليها. فإذا تحققنا من أن الباحث يعتمد الأسس المعرفية الأساسية للمنهج، و لكنه كان متساهلاً في الجوانب الشكلية، نقبل منه ما قال، أما إذا احتجب باحث يفتقر إلى القدرة على الاستثمار الجيد لأدوات المنهج و إجراءاته خلف غطاء كثيف من المصادر و الإحالات بحيث تشحب شخصيته المعرفية و البحثية، حق لنا أن نضع ما قدمه في مكانة علمية أدنى. فالمنهج العلمي و ما يرتبط به من مداخل إنما هي أطر نوعية تؤسس للكيفيات الكلية، و ليست محض مقولات كمية.

خاتمة

بعد فحص مفهوم المنهج العلمي، و عرض تحولاته التاريخية، و دراسة المعنى اللغوي لمصطلحي المنهج و المدخل، أظهرت الدراسة أن هناك حاجة ماسة لإعادة النظر في طبيعة مفهوم البحث العلمي، و استقصاء مستوياته المختلفة، و طريقة تصنيف مكوناته. و قد توصلت هذه الورقة إلى الآتي:

١. للمنهج العلمي صورة فكرية شاملة و كلية ترتبط بفلسفة العلم نفسها، أي أنه يمثل النظرية العامة التي نكرس لها مصطلح علم المنهج methodology. و هو يمثل المستوى الأول.

٢. يمثل مفهوم المنهج العلمي الإجرائي المستوى الثاني من مستويات البعد الإصطلاحي لنظرية المنهج العلمي، و سوف نكرس له مصطلح methods of research. و هو يتضمن مقولات فكرية و اشتراطات معرفية و إجرائية تمثل أسساً عامة ينبغي أن تكون حاضرة في كل العلوم.

٣. هناك صور منهجية ثانوية مشتقة من الصورة الفكرية الشاملة للمنهج العلمي. و هذه الصور الثانوية لا تمثل بديلاً للصورة الشاملة، و إنما هي عبارة عن تكييفات لهذه الصورة مع متطلبات البحث العلمي تبعاً لاختلاف الحقل المعرفي أو العلمي.

٤. أشرت الدراسة وجود حاجة ماسة لمفهوم المدخل المعرفي، و نكرس له المصطلح المتخصص epistemological approach. و قد يتداخل معنى هذا المصطلح مع مفهوم المنهج إذ تشكل اشتراطات المدخل المعرفي صورة مغايرة إلى حد ما عن اشتراطات المنهج العلمي، فهي اشتراطات ذات طابع قد يكون شخصياً أو حتى أيديولوجياً. و لكن هذا المصطلح إذ يعمل على الإيفاء بالجانب الذاتي للبحث في بعض الحقول المعرفية فإنه لايخل مطلقاً بشروط المنهج العلمي.

٥. من كل ما سبق نجد أن الدراسة تؤكد أن إيلاء أهمية خاصة لمسألة تكامل مستويات المنهج العلمي و المدخل المعرفي سيؤدي بالضرورة إلى نتاج علمي أكثر دقة و موضوعية في حقل الدراسات الإنسانية، كما أن من شأن مثل هذا التصنيف الجديد لمقولات المنهج العلمي و المدخل المعرفي أن يفض التداخل الاصطلاحي غير المسوغ للمصطلحات المشار إليها من جهة، و سيكون إضافة معرفية و علمية إلى علم المنهج من جهة أخرى. و يلزم عن كل ذلك، بالضرورة، أن هذا التصنيف الجديد سيكون ذا فائدة في الدراسات و البحوث الأكاديمية مستقبلاً.

هوامش البحث

١. أنظر مادة 'نهج' في "المنجد في اللغة و الأعلام" ط ٣٩. دار المشرق. بيروت، ٢٠٠٢.

٢. أنظر "نهج البلاغة" جمعه الشريف الرضي، و حققه السيد هاشم الميلاني. ط ٣. ٢٠١٠. مطبعة التعارف. ص ٢٥٠ و ٢٥٤.

٣. أنظر "ديوان ابن الرومي" تحقيق الدكتور حسين نصار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤. ج٢، ص.٤٩٢.

٤. أنظر مادة (method) في طبعة عام (١٩٨٤) من: *The New Webster Dictionary of the English Language*. New York, Consolidated Book Publishers. P. 532.

٥. د. علي جواد الطاهر (١٩٧٦) "منهج البحث الأدبي" بغداد، مطبعة أسعد. ص. ١٧.

٦. نفسه. ص. ٢٦.

٧. د. أحمد جاسم النجدي (١٩٧٨) "منهج البحث الأدبي عند العرب". دار الحرية للطباعة. بغداد. ص ٥. و هذا الكتاب هو أطروحة الدكتوراه التي أنجزها أحمد جاسم النجدي تحت إشراف الدكتور علي جواد الطاهر، و فيها رد غير مباشر على زعم الطاهر في مقدمة منهج البحث الأدبي من أن العرب لم تعرف المنهج العلمي.

٨. نفسه. ص. ٨.

٩. د. محمد عبيدات، د. محمد أبو نصار، د. عقلة مبيضين (١٩٩٩) "منهجية البحث العلمي: القواعد و المراحل و التطبيقات". دار وائل. عمان.

١٠. زيغريد هونكه (١٩٦٩) "شمس العرب تسطع على الغرب" ترجمة فاروق بيضون و كمال الدسوقي. ص. ٤٠١.

١١. . نادية حسني صقر (١٩٩١) "العلم و مناهج البحث في الحضارة الإسلامية" مكتبة نهضة مصر. القاهرة. الصفحات ١١٥-١١٦.

١٢. نفسه. ص ١١٨.

١٣. أنظر نص كلام ابن الهيثم في:

Alhazen (Ibn Al-Haytham) *Critique of Ptolemy*, translated by S. Pines, *Actes X Congrès internationale d'histoire des sciences*, Vol I Ithaca 1962, as quoted in Sambursky 1974, p. 139.

١٤. نقلاً عن كتاب " السرقات الفنية للآثار الأدبية: (سرقات الدكتور محمد نبيل الطريفي إنموذجاً)". د. داوود سلوم. مطبعة الأفراح، بغداد. ٢٠٠٥. ص ١٣٢.

١٥. أنظر: Descartes, René. Discourse on Method; Meditations. Translated with an introduction by Sutcliffe, F. E. Penguin Books.

١٦. نلاحظ أن الدكتور أحمد عُلَبي، و هو أحد الباحثين في المنهج، و في سياق عرضه لآراء ديكارت في الموضوع، يذهب في ترجمة كلمة évidence الفرنسية إلى أن معناها البداهة. و لا نرى أية صلة بين البداهة و معنى هذه الكلمة في سياقها الذي وردت فيه. أنظر: د. أحمد عُلَبي (١٩٩٩) "المنهجية في البحث الأدبي"، دار الفارابي، بيروت. ص. ٢٦.

١٧. أنظر الملاحظة في (١٠) أعلاه.

١٨. لعل من المهم أن نشير هنا إلى أن مقالة ديكارت في المنهج قد تضمنت مقولة فكرية مهمة في تاريخ الفكر الفلسفي هي ما يسمى بالكوجيتو الديكارتي، و نصه "أنا أفكر، إذن فأنا موجود". و هي مقولة يمكن أن تفهم على وجهين: ذاتي لأنها تجعل من عملية التفكير شرطاً للوجود، و موضوعي لأن التفكير شرط للوعي بما هو كائن قبلاً.

١٩. أنظر بصدد الأوثان الأربعة: Microsoft ® Encarta ® Reference Library 2005. © 1993-2004.

٢٠. جون أي. جوزيف و تالبوت جي. تايلر، "الأيديولوجيا و اللغة" ترجمة باقر جاسم محمد. دار الشؤون لثقافية العامة. بغداد، ٢٠٠٨. ص. ٢٩.

٢١. (النقد و المجتمع: حوارات مع عدد من النقاد و المفكرين) ترجمة و تحرير فخري صالح. الناشر دار كنعان، دمشق. ٢٠٠٤. ص ١٨٨.

٢٢. (لسان العرب) لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري. دار صادر. بيروت ص. ٢٢٩.

٢٣. ستانلي هايمن "النقد الأدبي و مدارسه الحديثة" ج٢. تر. د. إحسان عباس و د. محمد يوسف نجم. القاهرة، ١٩٦٠. ص. ٢٤٧.

٢٤. ديفد ديتشس "مناهج النقد الأدبي بين النظرية و التطبيق" ترجمة د. محمد يوف نجم و مراجعة د. إحسان عباس. دار صادر، بيروت،

٢٥. ١٩٦٧. ولم يذكر المترجم الأسباب التي دعته إلى ترجمة المصطلح الإنجليزي approaches بمصطلح مناهج.

٢٦. د. محمد الصاوي محمد مبارك: "البحث العلمي: أسسه و طريقة كتابته". المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٢. ص. ٦.

قائمة المصادر و المراجع

أولا- في العربية:

١. ابن الرومي، علي بن العباس: "ديوان ابن الرومي" تحقيق الدكتور حسين نصار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤.

٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري: "لسان العرب" . دار صادر. بيروت.

٣. أحمد جاسم النجدي (الدكتور): "منهج البحث الأدبي عند العرب" دار الحرية للطباعة. بغداد، ١٩٧٨.

٤. أحمد عُلَبي (الدكتور): "المنهجية في البحث الأدبي"، دار الفارابي، بيروت. ١٩٩٩.

٥. جون أي. جوزيف و تالبوت جي. تايلر، "الأيديولوجيا و اللغة" ترجمة باقر جاسم محمد. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد، ٢٠٠٨.

٦. داوود سلوم (الدكتور): "السرقات الفنية للآثار الأدبية: (سرقات الدكتور محمد نبيل الطريفي إنموذجاً)". مطبعة الأفراح. بغداد، ٢٠٠٥.

٧. ديڤد ديتشس: "مناهج النقد الأدبي بين النظرية و التطبيق" ترجمة د. محمد يوف نجم و مراجعة د. إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.

٨. زيغريد هونكه: "شمس العرب تسطع على الغرب" ترجمة فاروق بيضون و كمال الدسوقي. القاهرة. ١٩٦٩.

٩. ستانلي هايمن: "النقد الأدبي و مدارسه الحديثة" ج٢. تر. د. إحسان عباس و د. محمد يوسف نجم. القاهرة، ١٩٦٠.

١٠. علي بن أبي طالب، (الإمام): "نهج البلاغة" جمعه الشريف الرضي، و حققه السيد هاشم الميلاني. ط٣. مطبعة التعارف. بيروت. ٢٠١٠.

١١. علي جواد الطاهر، (الدكتور): "منهج البحث الأدبي" بغداد، مطبعة أسعد. ١٩٧٦.

١٢. فاطمة عوض صابر (الدكتورة) و ميرفت على خفاجة (الدكتورة): "أسس و مبادئ البحث العلمي" الأسكندرية. مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية. ٢٠٠٢.
١٣. فخري صالح (محرر و مترجم): "النقد و المجتمع: حوارات مع عدد من النقاد و المفكرين". الناشر دار كنعان، دمشق. ٢٠٠٤.
١٤. لويس شيخو اليسوعي (الأب) : "المنجد في اللغة و الأعلام" ط ٣٩. دار المشرق. بيروت، ٢٠٠٢.
١٥. محمد الصاوي محمد مبارك (الدكتور) : "البحث العلمي: أسسه و طريقة كتابته". المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٢.
١٦. محمد عبيدات و محمد أبو نصار و عقلة مبيضين (الدكاترة): "منهجية البحث العلمي: القواعد و المراحل و التطبيقات". دار وائل. عمان. ١٩٩٩.
١٧. نادية حسني صقر (الدكتورة): "العلم و مناهج البحث في الحضارة الإسلامية" مكتبة نهضة مصر. القاهرة. ١٩٩١.

ثانيا- في الإنجليزية:

1. Alhazen (Ibn Al-Haytham) *Critique of Ptolemy*, translated by S. Pines, *Actes X Congrès internationale d'histoire des sciences*, Vol I Ithaca 1962, as quoted in Sambursky 1974.
2. Descartes, René. Discourse on Method; Meditations. Translated with an introduction by Sutcliffe, F. E. Penguin Books.
3. Microsoft ® Encarta ® Reference Library 2005. © 1993-2004.
4. *The New Webster Dictionary of the English Language*. New York, Consolidated Book Publishers.